مقدمة

نتاجا للغدو والرواح بين علم النفس وبين علم السياسة ، كان ظهور ما يسمى لدى بعض العلماء بعلم النفس السياسى Political Psychdogy والذى يعنى محاولة تفسير الظواهر السياسية والسلوك السياسى للفرد بالرجوع إلى المعطيات النفسية كالبناء النفسى ، والاتجاهات والقيم والسمات الشخصية ، لإضافة المعنى الذى قد تعجز العلوم السياسية المتخصصة فى الوصول إليه بعيدًا عن الاستعانة بالتخصصات الأخرى فى العلوم الاجتماعية . ولقد أشار إلى ذلك علماء السياسة مع بدايات ظهور هذا التخصص فى العقد الثالث من القرن العشرين ، وأكد عليه على الدين هلال فى العقد التاسع من هذا القرن ذاته .

.. وكما يمثل هذا التوجه تقدمًا فى فكر العلماء يعكس وعيًا منهم بتشابك الظاهرة الإنسانية وتعقدها ، فإنه يطرح فى الآن نفسه رؤية شمولية تتجاوز الحدود الضيقة للتخصصات الدقيقة إلى التكامل مع المناهج والتخصصات القريبة وذات الصلة بالظواهر المراد دراستها ، فيكون هناك هذا التوجه عبر التخصص Interdisciplinary Approach الذى يعنى تعاون عدة تخصصات فى دراسة الموضوع الواحد ، مما يؤدى إلى تكامل الرؤية ، وتعميق الفهم للظاهرة الواحدة ، خاصة وأن الواقع الذى نعايشه ، وطبيعة الأحداث التى يموج بها العالم المحيط بنا ، وسرعة إيقاع التغير الذى يلحق بل ويعصف بكل جنبات الحياة ، كلها مجتمعة تسفر عن ظواهر إنسانية سلوكية تتنامى فى درجة تعقدها وتركيبها ، مما يمثل تحديًا حقيقيًا للتناول العلمى الذى يعين على فهمها وتفسيرها تمهيدًا لإمكانية التنبؤ بها ثم التحكم فى حدوثها .

.. ومنذ جهود ميريام Mirriam وهارولد لاسويل Lasswell فى منتصف العشرينيات من هذا القرن ، توالت المحاولات على الصعيدين النظرى والميدانى معا . فكانت كتابات لاسويل عن السياسة والأمراض النفسية عام ١٩٣٠ ، وعن الشخصية والقوة عام ١٩٤٨ ، ومؤلفات ميريام عن القوة السياسية ١٩٣٤ ، كما كانت البحوث الميدانية التى بدأتها مدرسة شيكاغو بدراسة سلوك التصويت Voting behavior ثم جماعات الضغط ، وغيرها من نماذج السلوك السياسى ... وامتد هذا الاهتمام بالدراسة السيكلوجية للسلوك

السياسى خارج نطاق الولايات المتحدة الأمريكية إلى فرنسا وإنجلترا والسويد فكانت جهود العلماء من أمثال فيجز J.N.Figgis وكول G.D.H.Cole، وإرنست باركر E.Barker، وهارولد لاسكى H.Laski وتنجستن H.Tingston وغيرهم .

ومع أواخر الخمسينات ، كان هناك تقدمًا ملحوظًا فى مجال الدراسات الإمبريقية والنظرية معا . فكانت كتابات فرويد وإريك إريكسون ، وتنظير جان جان روسو عن بحث أصول نشأة الميول السياسية ونموها من الأسس التى أعتمد عليها لتفسير نتائج الباحثين فى هذا الميدان . فضلا عن أن الدراسات الميدانية الرائدة فى مجال السلوك السياسى كدراسات هايمان H.Hyman ، وجرينشتين F.H.Gressnstein، ودافيد إيستون Easton وروبرت هيس R.Hess. قد ساعدت بدورها على إثارة العديد من نقاط البحث فى مجال التنشئة السياسية للأطفال ، ومراحل نمو المفاهيم السياسية وارتباطها بالعوامل الاجتماعية والسياسية المحيطة بهم .

.. ولذلك فقد استطاع هذا العلم مع بداية الستينيات أن يحقق إمتدادات أفقية واسعة باشتماله على موضوعات متعددة ، كما يحقق إمتدادات رأسية أيضًا بدت فى التعمق فى دراسة السلوك السياسى ومنطلقاته النفسية الاجتماعية من خلال دراسة حالات للقيادات السياسية البارزة ، أسفرت عن نتائج وضعت فى الحسبان عند التنظير للسلوك السياسى فى علاقته بالبناء النفسى للفرد . ولعل جهود إريك إريكسون E.Erkson فى هذا الصدد ، مضافًا إليها جهود باربر Barber ولانجر Langer تمثل دعوة للباحثين لتمحيص ما وصلوا إليه من نتائج قد يفيد كثيرًا فى مراجعتها القيام بالدراسات عبر الثقافية ، والدراسات على جماعات لها مشاركتها السياسية عند مستويات أخرى غير مستوى القيادة ..

وهنا نقف لنتساءل : ماذا عن هذا العلم فى محيط الوطن العربى خاصة ؟

إن استقراء التراث المتاح فى هذا الصدد ليشير إلى أنه رغم الصعوبات التى تكتنف هذا المجال ، والتى قد ترجع فى بعضها إلى طبيعة الظواهر وحساسيتها للنظم الحاكمة ، كما ترجع فى بعضها الآخر إلى خصوصية السلوك فى هذا المجال وطرح صعوبة القياس بما هو متعارف عليه من أدوات ، أقول رغم هذه الصعوبات وغيرها إلا أن المجال قد اجتذب عددًا من جهود الباحثين ، آلت على نفسها تحمل تبعات التصدى لدراسة ظواهر السلوك السياسى . فطرقت هذه المحاولات مجالات التنشئة السياسية ومصادرها المتعددة ،

كما تصدت لدراسة الثقافة السياسية ومكوناتها لدى فئات من المواطنين ، أو من خلال ما يقدم لهذه الفئات من مادة تثقيفية أو تعليمية كالكتب المدرسية ، والكتب الثقافية والقصص والمجلات ... إلخ . كما كانت هناك الدراسات المقارنة عبر المجتمعات على المفاهيم السياسية كالهوية القومية والسلطة السياسية والكفاءة السياسية وغيرها .

.. لكن على الرغم من هذه الجهود ، إلا أنها ضئيلة فى مقارنتها بما يزخر به هذا المجال من ظواهر متعددة تدعو الباحثين فى كافة التخصصات فى العلوم الاجتماعية – وليس علم النفس فقط – إلى المزيد من الأبحاث الإمبريقية .إذ أن نتائج هذه الدراسات لا تقف أهميتها عند حدود كشف الغموض الذى يحيط بظواهر السلوك السياسى ، فقط ، بل تتجاوزها إلى الإسهام فى إثراء النظريات ، وتعديلها بالحذف أو بالإضافة وذلك بما تحملة النتائج من أطر ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية تضفى خصوصية على الظاهرة ، تدعو إلى مزيد من البحث ، بل ويثير من التساؤلات أضعاف ما يحاول الإجابة عليه .

والدراسة الراهنة ، قد آثرت تناولها لهذا المجال على مستويين :

المستوى الأول ويعنى باستعراض التراث النظرى فى مجال التناول السيكلوجى للسلوك السياسى بالعرض التفصيلى لتاريخ المحاولات السابقة فى هذا الميدان ، وإسهامات العلماء فى السياسة وعلم النفس فى إرساء الأساسيات التى انطلقت منها الدراسات الميدانية ومازالت حتى لحظتنا الراهنة . فضلا عن هذا ، فقد أهتم العرض النظرى بالتركيز على مجالى المشاركة السياسية والتنشئة السياسية بقدر أعلى من التفصيل خاصة الدراسات الميدانية التى تصدت لهما وما أسفرت عنه من نتائج بهدف إثارة التساؤلات التى قد تكون منطلقات لدراسات ميدانية تالية ... ومن ثم ، فقد اختصت الفصول الأول والثانى والثالث من هذا الكتاب بالعرض النظرى النقدى للتراث المتاح والخاص بالنقاط السابق الإشارة إليها .

أما المستوى الثانى فقد عنى بالجانب الإمبريقى فى مجال السلوك السياسى ، فما أسفرت عنه القراءة الناقدة للتراث النظرى فى مجال المشاركة السياسية من عديد من نقاط للبحث تغرى الباحثين بالوقوف عندها ومحاولة الإجابة عليها بالدراسة الميدانية ، طرح أمامنا عدة قضايا فى مجال سيكلوجيا السلوك السياسى للفئات المختلفة من المشاركين سياسيًا فكان اختيارنا لإحدى هذه القضايا الخاصة بالبناء النفسى لفئة من

المشاركين سياسيًا ، لما تمثله من أهمية فى فهم الأبعاد غير السياسية والخاصة بالسلوك السياسى من ناحية ، وما يمكن أن تفيدنا فيه هذه الدراسة فى تنشئة الأجيال الصغيرة على المشاركة الإيجابية فى مجال السياسة وما يتطلبه هذا من خصائص نفسية يمكن لمصادر التنشئة السياسية بدءا بالأسرة والمدرسة ومرورًا بأجهزة الإعلام والأحزاب السياسية أن يسهم كل منها بقدر فى بذر بذوره أو تنميته ومراعاته ، من ناحية ثانية . فضلا عما يمكن أن يكون لنتائج هذه الدراسة من فرض ضرورة إعمال النظر العلمى فيما تطرحه النظريات العلمية فى هذا الشأن من مقولات تخضع مصداقيتها لمدى ما تحققه من نجاح أمام الدراسات عبر الثقافية للسلوك السياسى ، هذا من ناحية ثالثة .. ومن ثم ، فقد تكفل الفصلان الرابع والخامس من هذا الكتاب بالعرض لهذه الدراسة الميدانية بما اشتملت عليه من فروض أرادت التحقق منها ، وأدوات تم إعدادها للإستعانة بها فى اختبار الفروض ، ثم العينة وكيفية اختيارها ومنطق هذا الاختيار ، وأخيرًا بما أسفرت عنه من نتائج ومحاولة لتفسيرها فى ضوء التراث النظرى الخاص بسلوك المشاركة السياسية إلى جانب جماع النتائج التى وصلت إليها الدراسات الميدانية السابقة على دراستنا .

.. ثم ..

إذا كان التراكم العلمى فى المجال الواحد يمثل ثراء للعلم ويسير به على طريق تحقيق التقدم ، فإن الفتح الجديد لمجالات مازالت فى مراحلها الأولى على طريق التناول العلمى يمثل فى تصورنا راقدًا آخر لثراء العلم وتقدمه فى دراسة ظواهر السلوك الإنسانى فى مختلف المجالات . ومن هنا ، فهذه محاولة للتعريف ببدايات مجال للسلوك الإنسانى قد يغدو فى وقت قريب – إذا ما تفهمنا ما يفرضه علينا من تحديات وتصدينا لدراستها مذللين ما يعترضنا من صعوبات – من المجالات الهامة لفهم السلوك الإنسانى الفردى وبالتالى فهم السلوك المجتمعى فى مجال السياسة والمشاركة السياسية .. وإذا كان الطريق ليس معبدًا أو سهلا لدراسة هذا الجانب من السلوك الإنسانى ، فإننا نأمل أن يزداد التحدى بازدياد الصعوبات ، فيزداد الطموح لمعرفة المزيد ، وتتعاظم الرغبة لطرق مختلف الجنبات لظواهر المجال ... والله هو الموفق .

دكتورة عزيزه السيد